دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	صراع الأيديولوجيات
المصدر:	مجلة الدبلوماسي
الناشر:	وزارة الخارجية - معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية
المؤلف الرئيسي:	الأحمري، محمد
المجلد/العدد:	ع 60
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2012
الشهر:	إبريل
الصفحات:	64
رقم MD:	390697
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	الإصلاح السياسي ، الأيديولوجيات ، النظم السياسية ، الديمقراطية ، الأحزاب السياسية ، الثورات العربية ، العالم العربي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/390697

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

صراع الأيديولوجيات

د. محمد الأحمري

إن من تعرّف على أي ثورة قديماً أو حديثاً في تاريخنا أو تاريخ غيرنا ، يجد أن هناك مصائب حكومات تصنع أفكاراً مضادة للخروج من مصائبها ، ثم تلحّ على التأثير، وتنتصر في نفوس المؤمنين بها قبل أن تخرج للعمل منذ الثورة العباسية، فضلاً عما سبقها ولحقها من الثورة الروسية إلى الثورة الإيرانية فإنها كلها شربت من ينبوع أفكار كمتقد وتصف الحل ، أو " تخلّي وتحلّي" بحسب مصطلح المربين.

وما كان " فولتير" يحتفل في نهاية حياته بمستقبل الثورة والتغيير في فرنسا إلا أنه كان يرى التغيير قادماً لا شدَّ فيه ، ويرى الأفكار تلتهم أملاً راكدة وتخرجها للحياة ، ثم تصبح الثقافة أو الأيديولوجيا زاد للاحتجاج المنظم وشبه المنظم ، ألم يكن "سيد قطب" يكاد يرى المستقبل عياناً كما يريد؟ وكذا " الغنوشي "و منصف المرزوقي" ؟ نعم ، إن المستقبل يولد على غير ما تصوره مَن يعمل له ، ولكه يحقق لهم بعض أمانيهم إن لم يكن كلها.

والحقيقة أن الأيديولوجيا حاجة بشرية لكل عمل ، فكل عمل يحتاج لفلسفة تقنع الفرد الممارس له ، ثم بمقدار نفوذه وعلاقاته يحاول أن يشرحه لغيره ، حتى يجعله عقيدة عامة، وكلما استسلم عدد أكبر من الناس لهذه العقيدة بسط الفرد هيمنته ، فيتجاوز إرادته أو رضاه عن صحتها وفائدتها، فيستعبده انتصاره حتى عندما يخطئ.

وهذا ما جعل ويجعل كثيراً من صنّاع الأيديولوجيات يتبرؤون ويخافون من إتباع الناس لهم ، إما بدافع التواضع والسمو للحق الأعلى منهم ، أو للقدَر الذي ظهر أنه يخالفهم ، أو بدافع الخيرية المغروسة في نفوس بعض صنّاع الأفكار، أو لأنهم يرون أن الناس سيعرفون ضعفهم في تسخير الناس لفكرة كانت يوماً حقاً وتبيّن خطؤها، ولم يملدَّ صاحبها الشجاعة للتمرد على قوله ومذهبه ذات يوم ، وهذ ا أشبه بموقف التجرد للحق. ونماذج هذه النزاهة الفكرية عديدة جداً في ثقافتنا وعند غيرنا ، ولعل من أمثلتها أولئك الذين منعوا الكتابة عنهم ، ومنعوا تقليدهم ، وأيدوا نقض أقوالهم بأنفسهم أو من قبل غيرهم.

إن شروط نظريات الثورات – إن صحت– توضع على الرف مؤقتاً، فلا أيديولوجيا محددة ، ولا يوجد زعيم ملهم ، ولا تنظيم قاد الثورات العربية.

الذين خرجوا من شتى الأطياف كان لكل منهم قضيته ، ولكل أيديولوجيته الخاصة ، غير أنه كانت لهم قضية واحدة جامعة، فاستطاعوا تأخير الخلافات وتقديم الأولويات ، والأولوية في المجتمع العربي مواجهة السم الذي يفري في القلوب والعقول والاقتصاد والسياسة والكرامة وهو " الاستبداد"، ولهذا كان على درجة من الوضوح والقبح بحيث لا يقدم أحد على شرّه شراً، فكان مجمع الخبائث وسر التعثر، وعين الأفراد والأفكار عليه لا تخطئه ، وكان التركيز عليه أساس النجاح.

ثقافة المجتمع تشبعت بكل الخطابات الإسلامية والقومية واليسارية ، وثمرتها خطاب التحرر والديمقراطية، فقامت تنادي بحصاد ذلك، وحاجتها الإنسانية مصنوعة في قالب لا يدين لفكرة ولا مدرسة محددة ، إلا فكرة خلاص الإنسان المقموع الغائب الذي لم يُسمح له أن يشارك من قبل في شيء ليقول : " أنا هنا ، سأحوز كل شيء، بعد أن حرمني مستبد من كل شيء". إنه موقف شمولي يستعيد كل ثمرة الأفكار، ولا يسخر نفسه للأفكار ولا للمدارس ولا للأحزاب ، بل ينفذ خير غاياتها.

ولذا ، فلم تغب الأيديولوجيات عن الثورة العربية، لا بل نضجت الأيديولوجيات فوصلت لغايتها من المرحلة الأولى ، وعقلت فأزاحت أطرافها الحادة ، واجتمعت على الاهتمامات الكبرى ، فالعمل السياسي يقتضي التعاون للإنجاز الذي لا يتم إلا بتجاوز القطعيات الحادة ، ولهذا كان من أول واجبات الفئة الإصلاحية والثورية مواجهة التطرف الأيديولوجية لأنه طعام الاستبداد اليومي.

صناع الأيديولوجيات يتبرؤون ويخافون من اتباع الناس لهم

وحتى تستمر الثورات لتنجح، فلا بد لها أن تخفف من تطرفها ومتطرفيها مستقبلاً لتستطيع تحقيق غاية الأفكار المعتدلة الصالحة للحياة ولسعادة الإنسان ، وبما أن من أهم غايات السياسى فض المنازعات وجلب المصالح والسعادة للإنسان ، فإن ما بعد الثورات يحتاج لتجنب التطرف الأيديولوجية لأنه قد يفتدً بمكاسب الثورة . فالذي يحتاجه مجتمع ليبني حياته ليس " أيديولوجيا واحدة جاهزة " ولا صراع الأيديولوجيات ، بل حصاد ذلك ، أي الأفكار في مرحلة النضج والتنفيذ العملي لها ، وهو المصلحة العامة المستخلصة من مساهمة هذه الأفكار في حل المعضلات ، إنما الفكرة في ميدان العمل وهذ ا ما تحقق بدؤه .